﴿قَالَ لَا تَخۡتَصِمُواْ لَدَيَّ وَقَدۡ قَدَّمۡتُ إِلَيۡكُم بِٱلۡوَعِيدِ ٢٨ مَا يُبَدَّلُ ٱلۡقَوۡلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ٢٩﴾ [ق: 28 - 29]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَينِ لِما قَبْلَهما:

حكمُ الله تعالى في الخصومةِ بين الإنسانِ وقرينِه هو الفَيصَلُ المبين

لمّا ذكرتِ الآيةُ السابقةُ نفيَ القرين زَعْمَ الإنسان أنَّ شيطانَه هو الذي أضلَّه، وأغواه، وأمسى الأمرُ واضحًا ومنكشفًا لهذا الإنسانِ الكفّار، وبات حالُ نزولِ العذابِ حقيقًا به، فلا مهربَ ولا منجا ولا ملجأ؛ ناسب أن يأتيَ البيانُ لموقفِ الحقِّ وحُكمِه ﷻ للفصل بينهما في هذه الخصومة، التي يريد كلٌّ واحدٍ منهما التنَصُّلَ من وِزرِها وعقابِها، وإلقاءَ تَبِعَتِها على الطَّرَف الآخَر[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿تَخۡتَصِمُواْ﴾: (خصم) أصْلٌ يدلُّ على المُنازَعَة، ومنه الخَصْمُ: الَّذي يُخاصِمُ، والذَّكَرُ والأُنْثَى فيهِ سَواءٌ، والخِصامُ: مَصْدَرُ خاصَمْتُهُ مُخاصَمَةً وخِصامًا[2]، وأصل المُخاصَمَة: أن يتعلَّق كلُّ واحدٍ بخَصمِ الآخر، أي: جانبه، وأن يجذب كلُّ واحدٍ خصمَ الجوالق من جانب، قال تعالى: ﴿۞هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ﴾ [الحج: 19]، أي: (فريقان)، وقال هنا: ﴿لَا تَخۡتَصِمُواْ لَدَيَّ﴾[3]، أي: (لا توقِعوا الخصومة بهذا الجِدِّ والاجتهاد)[4].

2) ﴿قَدَّمۡتُ﴾: (قدم) أصْلٌ يَدُلُّ عَلَى سَبْقٍ، ثُمَّ يُفَرَّعُ منه ما يُقارِبُهُ، يَقولونَ: القِدَمُ: خِلافُ الحُدوثِ، ويُقالُ: شَيْءٌ قَديمٌ؛ إذا كانَ زَمانُهُ سالِفًا، وأكثرُ ما يُستَعمل القديم باعتبار الزمان، نحو:

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 139.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (خصم).
(3) الراغب، مفردات القرآن: (خصم).
(4) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 429.

﴿كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ٣٩﴾ [يس: 39]، ومعنى التَّقديم بالوعيد هنا: الإعلام قبل وقت الحاجة إلى أن يَعمَله[1].

3) ﴿يُبَدَّلُ﴾: (بدل) أصْلٌ يَدُلُّ عَلَى قيام الشَّيْءِ مَقامَ الشَّيْءِ الذّاهِبِ، يُقالُ: هَذا بَدَلُ الشَّيْءِ وبَديلُهُ[2]، والإبدال والتَّبديل والتَّبَدُّل والاستبدال: جعْلُ شيء مكانَ آخَر، ويَقولونَ: بَدَّلْتُ الشَّيْءَ؛ إذا غَيَّرْتُهُ، وإنْ لَم تَأْتِ له بِبَدَلٍ، وأبْدَلْتُهُ؛ إذا أتَيْتُ له بِبَدَلٍ، قالَ تَعالَى: ﴿قُلۡ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلۡقَآيِٕ نَفۡسِيٓۖ﴾ [يونس: 15]، وقوله هنا: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلۡقَوۡلُ لَدَيَّ﴾، معناه: (لا يُغَيَّرُ ما سبق في اللَّوحِ المحفوظ)؛ تنبيهًا على أنَّ ما عَلِمَه أن سيكون يكون على ما قدّ عَلِمَه لا يتغيَّر[3].

4) ﴿بِظَلَّٰمٖ﴾: (ظلم) أصْلٌ يدلُّ على وضْعِ الشَّيْءِ في غيرِ مَوْضِعه بزيادَةٍ أو بنَقْصٍ تَعَدّيًا، يقال: ظَلَمَهُ يَظْلِمُهُ ظُلْمًا، ويُقالُ: ظَلَّمْتُ فُلانًا: نَسَبْتُهُ إلَى الظُّلْمِ، وظَلَمْتُ فُلانًا، فاظَّلَمَ، وانْظَلَمَ؛ إذا احْتَمَلَ الظُّلْمَ[4]، أو هو حَجبُ ما ينبغي، أو ما يُسْتَحَقُّ، أي: منعُه أو انتقاصُه، قال تعالى: ﴿كِلۡتَا ٱلۡجَنَّتَيۡنِ ءَاتَتۡ أُكُلَهَا وَلَمۡ تَظۡلِم مِّنۡهُ شَيۡـٔٗا﴾ [الكهف: 33]، أي: (لم تمنع أو تُنقص)، وقال: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا يَخَافُ ظُلۡمٗا﴾ [طه: 112]، أي: (نقصًا)، ومنه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ﴾ [النساء: 40]، أي: (لا ينقص، ولا يمنع)[5].

5) ﴿لِّلۡعَبِيدِ﴾: (عبد) أصْلٌ يَدُلُّ عَلَى لينٍ وذُلٍّ، ومنه العَبْدُ، وهوَ المَملوكُ، والجَماعَةُ العَبيدُ[6]، والعُبوديَّةُ: إظهار التَّذلُّل، والعبد أبلغ من العابِدِ، والناس كلُّهم عِبادُ الله، بل الأشياء كلُّها كذلك، لكنَّ بعضَها بالتَّسخير، وبعضَها بالاختيار، فلفظُ العَبيدِ؛ إذا أُضيف إلى الله أعمُّ من العِبادِ، ولهذا قال هنا: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾، فَنَبَّه إلى أنَّه لا يظلم مَن يختصُّ بِعِبادَته، ولا من انتسب إلى غيره، مِنَ الَّذين تسمَّوا بِعَبْدِ الشمس وعَبْدِ اللّات ونحوِ ذلك[7].

---

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (قدم)، والرّاغب، مفردات القرآن: (قدم).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (بدل).
(3) الراغب، مفردات القرآن: (بدل).
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ظلم)، والرّاغب، مفردات القرآن: (ظلم).
(5) جبل، المعجم الاشتقاقي: (ظلم).
(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عبد).
(7) الراغب، مفردات القرآن: (عبد).

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

الانتقالُ من الحوارِ اليائس إلى حكم العدلِ في الإنسانِ البائس

تُبَيَّن الآيتانِ حُكمَ الله تعالى في نهي الإنسان وقرينِه عن التخاصُم في حَضرَته سبحانه؛ لأنَّه قدَّم إليهم بالوعيد في القرآنِ، وأنذرهم على ألسنة الرُّسُل، وحذَّرهم من سوءِ العاقبة مرارًا، ودعاهم إلى الخير جهارًا، ومن ثَمَّ فلا فائدةَ في محاولة كلِّ واحد إلقاءَ التَّبِعَةِ على الآخَر، وتبيُّن كذلك أنَّه لن يتغيَّر أمرُه تعالى، ولن يتبدَّل حُكمُه بتخليد الكافر في النّار، وتعذيب العاصي بها على حسَب عمله، وأنَّه ﷻ قاضٍ بين عبيده جميعًا - أيًّا كانوا - بالعدل الذي لا تَشوبُه شائبةٌ من الظلم[1]، فهو انتقالٌ من حوارٍ يائس، نطق به الإنسانُ البائس، إلى حكمِ العدلِ بين المتخاصمين من أهلِ النّار.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

علَّة فصلِ الآية عمّا قبلها:

الحكمُ القاطع ينطقُ بسلطانِ العدلِ

جاءت جملة: ﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُواْ لَدَيَّ﴾ مفصولةً عمّا قبلها لشبهِ كمال الاتِّصال، الذي تُجيبُ فيه الجملةُ الثانيةُ عن سؤالٍ أثارتهُ الجملةُ الأولى في نفس المتلقّي، فكأنَّه قيل: (فماذا قيل حينئذٍ؟) فأجابت عن ذلك الجملةُ الثانيةُ، وفُصِلت عن السّابقة، كما يُفصل الجوابُ عن السؤال، وقد جاءت الجملةُ ناطقةً بالحقِّ بقوَّة الحُكم، وسلطان الجَبَروت، وأمرِ القهّار سبحانه، غيرَ معطوفةٍ على كلامٍ سابق.

فائدةُ إضمار الفاعل:

تهويلُ الموقفِ وتفخيمُ المشهدِ وتعظيمُ الحكم

أُسنِد فِعلُ القَول إلى ضمير الحقِّ سبحانه في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُواْ لَدَيَّ﴾، وهو حكايةُ كلامٍ يصدر يومئذٍ عنه ﷻ للفريقَين: الذين اتَّبَعوا، والذين اتُّبِعوا؛ فالضمير عائدٌ على غير مذكور في الكلام، يدلُّ عليه قولُه: ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ﴾، ولا يصدر ما جاء

(1) طنطاوي، التفسير الوسيط: 13: 346، 347، بتصرف.

عليه النَّظم إلّا عن الله تعالى، فهو الذي يصدُر عنه النَّهي الحاكم على العبادِ بالتزام الصَّمت، ونكتةُ عدم التَّصريح بالفاعل: تهويلُ الموقف، وتفخيمُ المَشهَد، وتعظيمُ الحُكْم.

بلاغة أسلوب النهي وغرضه:

كـفُّ النُّـفـوسِ الـكـافـرة عـن الـخـصـومـةِ؛ تَيئيسًا لهم مِن النَّجاة

جاء أسلوبُ النَّهي في قول الله تعالى: ﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُواْ لَدَيَّ﴾؛ لكَفِّ الإنسانِ وقرينِه عن التَّخاصُم الحاصل بينهما في حضرة الله تعالى، الذي لا يخفى عليه شيءٌ في الأرض ولا في السَّماء، والتعبيرُ به يدلُّ على أنَّ النفوسَ الكافرةَ ادَّعت أنَّ قرناءَها أطغَوْها، وأنَّ القرناءَ تنصَّلوا من ذلك، وأنَّ النفوس أعادت رميَ قرنائها به، فصار خصامًا، وطويَ ذكرُه لدلالة النَّهي عليه؛ إيثارًا لحقِّ الإيجاز في الكلام.

والنَّهي عن الاختصام بعد وقوعه بتأويل النهي عن الدوام عليه، والمعنى: (كُفّوا عن الخصام[1]، وداوِموا على عدم الرجوع إليه)، وسبب النهي: أنَّ الخصام في ذلك لا جدوى له؛ لأنَّ استواء الفريقين في الكفر كافٍ في مؤاخذة كِلَيهما على السواء، فلمّا تقرَّر عليهم حُكمُ الله؛ لم يُفِدهم التخاصُم لإلقاءِ التبعةِ على أحد الفريقين[2].

فائدةُ تقييد النَّهي بالظَّرف:

كنايةٌ عن فَقدِ الأمَل في النَّجاة مـن الـعـذابِ الشَّديد

الظرفُ في قول الله تعالى: ﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُواْ لَدَيَّ﴾ متعلِّقٌ بفعل الاختصام المنهيِّ عنه، قُيِّد به النَّهيُ؛ للإشارة إلى عدم جدواه يوم البعث، فالاختصام كان ينبغي قبل الحضور والوقوف بين يدي الله جلَّ في علاه[3].

يُزاد على ذلك ما يشعُّ به التَّعبير بالظرف من التبكيت

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 314.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 314.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 139.

والتحسير؛ لدلالته على إدراكهما حقيَّةَ البعث والحساب، والمعنى: (لا تختصموا في دار الجزاء بهذه الحضرة، التي هي فوق ما كنتم تُدرِكونه من الأخبار عنها بكثير، وأعجبُ بما يدرك حقَّ الإدراك، فقد انكشف ما كان يستغربه الخاصَّة، وفات بانكشافها نفعُ إيمانٍ جديدٍ)[1]، فاستُعمل هذا الظَّرف كنايةً عن فَقدِ الأمَل بعد وصول هذا الموقفِ العظيم، الذي لا جدوى بعده في الخَلاص.

نوعُ الواو ودلالتها:

الجملة الحاليَّة تعليلٌ للنَّهي عن الاختصام

الواو في جملة: ﴿وَقَدۡ قَدَّمۡتُ إِلَيۡكُم بِٱلۡوَعِيدِ﴾ هي واو الحال، والجملة بعدها حالٌ من الضمير في ﴿لَا تَخۡتَصِمُواْ﴾، جيء بها؛ لبيان السَّبب في النَّهي عن الاختصام في حضرة العليِّ القدير يوم البعث والنشور، والمعنى: (لا تَطْمَعوا في أنَّ تَدافُعَكم في إلقاء التَّبِعة يُنجيكم من العقاب بعد حال إنذاركم بالوعيد من وقت حياتكم، فما اكترثتم بالوعيد، فلا تلوموا إلّا أنفسكم؛ لأنَّ مَنْ أنذر؛ فقد أعذر)[2].

دلالة استعمالِ حرفِ التَّحقيق:

استعمل النَّظمُ الكريم حرفَ التحقيق (قد)، في قول الله تعالى: ﴿وَقَدۡ قَدَّمۡتُ إِلَيۡكُم بِٱلۡوَعِيدِ﴾؛ للإبلاغ في تأكيد وقوع الإنذار، وتقويَةِ حصوله بأكثرَ من وسيلة، قبلَ أن يَلقَى الإنسانُ وقرينُه ربَّهم، ويقفوا بين يديه هذا المَوقِف.

معنى التقديمِ:

التقديم: جعل الشيء قدّام غيره، ويُراد به في قول الله تعالى: ﴿وَقَدۡ قَدَّمۡتُ إِلَيۡكُم بِٱلۡوَعِيدِ﴾ كونه سابقًا على المؤاخذة بالشِّرك؛ لأنَّ الله توعَّدهم بواسطة الرسول ﷺ[3].

(1) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 429.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 315، والآلوسي، روح المعاني: 13/ 336.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 316.

دلالةُ استعمال حرفِ الانتهاء:

إقامة الحجَّة وبلوغ الدَّعوة لجميع المخاطَبين

عُدّيَ فعل التقديم إلى ضمير الجميع بحرف الانتهاء (إلى)، في قول الله تعالى: ﴿وَقَدۡ قَدَّمۡتُ إِلَيۡكُم بِٱلۡوَعِيدِ﴾؛ للدلالةِ على وصول الإنذار لكُلِّ النّاس، ويدخل فيهم دخولًا أوليًّا - إذْ هو المراد بالخطابِ - الكافر وقرينه؛ لبيان قيام الحجَّة به عليهم، ففي هذا التَّعبير تعليلٌ للنهي الحازم عن التخاصم، وأنَّه لا اعتدادَ به في هذا الموقفِ، ولن يُصْغيَ إليه أحدٌ، فدلَّ الحرف (إلى) على بلوغ الدَّعوة لهم، وإقامة الحجَّة عليهم.

دلالةُ استعمال ضَميرِ الجمع:

الجارُّ (إلى) ومجرورُه في قول الله تعالى: ﴿وَقَدۡ قَدَّمۡتُ إِلَيۡكُم بِٱلۡوَعِيدِ﴾ متعلِّقٌ بفعل التقديم، والضمير فيه عائدٌ إلى الإنسانِ وقرينِه، وعبَّر به جمعًا؛ ليَشملَ جِنْسَ المُتخاصِمين يومَ البعث والحساب، وجريًا على طريقة العرب في جعل المُثَنَّى داخلًا في الجمع.

نوعُ الباء ودلالتُها:

الباء في قول الله تعالى: ﴿وَقَدۡ قَدَّمۡتُ إِلَيۡكُم بِٱلۡوَعِيدِ﴾؛ لتأكيد وصول التخويف من الكفر إلى النّاس بعامَّة، وإلى الكفّار بخاصَّة، قبل وُرودِهم على الله جلَّ في عُلاه، ويحتمل المصاحبةَ، أي: (قدمت إليكم ما يجب، مع الوعيد على تركه بالإنذار)[1].

معنى تعريفِ لَفظِ الوَعيدِ:

الوعيدُ اسمٌ جامعٌ لكلِّ ما حذَّر الله به الكفّار

(أل) في قول الله تعالى: ﴿وَقَدۡ قَدَّمۡتُ إِلَيۡكُم بِٱلۡوَعِيدِ﴾ لتعريف العهد، فهو الوعيد بالنّار والعقاب الشَّديد على ارتكاب الكُفر والعِصيان، الذي قدَّمه الله في كُتُبه، وعلى لسان رُسُلِه.

نكتةُ الاقتصار على الوَعيدِ:

قُيِّد فعلُ التقديم ﴿بِٱلۡوَعِيدِ﴾ دون (الوعد)، في قول الله تعالى: ﴿وَقَدۡ

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 139.

مناسبةُ السّياقِ في خطابِ المشركين

﴿قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ﴾، مع أنَّ الرسولَ ﷺ قَدَّم بهما؛ إذ بعثه الله تعالى مُبَشِّرًا ونذيرًا؛ لمناسبته العذابَ الذي ينتظرهم؛ بسبب الضلال الذي كانوا فيه، والعناد الذي عاشوا عليه، على الرَّغم من التهديد الشديد، والتحذير العظيم ممّا كانوا يرتكبونه من كفران وعدوان[1].

موقع جملة النَّفي ممّا قبلها:

حكمُ اللهِ وقضاؤه ثابتٌ لا يقبلُ التَّبديل

قول الله تعالى: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ﴾ جملةٌ مستأنفةٌ استئنافًا ابتدائيًّا؛ لتقوية النَّهي عن الاختصام في هذا الوقت، وتأكيدِ عدم جدواه؛ لدلالتها على أنَّ ما قَضاه الله تعالى، وأخبر به على لسان رسله، وأثبته في كتبه لن يتبدَّل، أو يتغيَّر، ولعِلْم الله المحيط بحقيقة كلِّ واحدٍ من المُتجادِلين المُتخاصِمين، فالمعنى: (قد قدَّمت بالوعيد أنّي أُعَذِّب الكفّارَ في ناري، فلا يُبَدَّلُ قولي، ولا يُنقَضُ ما أبرمه كلامي)[2].

دلالةُ النَّفي بـ ﴿مَا﴾:

نفيُ تبديلِ كلامِ اللهِ نفيًا قاطعًا عامًّا

﴿مَا﴾ في قول الله تعالى: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ﴾ هي النافية التي بمعنى (ليس)، أوثِر النَّفي بها؛ لأنَّ من خصائصها نفيَ الجمل الاسميَّة والفعليَّة، فهي آكدُ في النفي من (ليس)، وأوسعُ استعمالًا منها؛ لأنَّ (ليس) مختصَّةٌ بنفي الجُمَل الاسميَّة فحَسْب[3]، والنفي بها أنسبُ هنا؛ لأنَّها تفيد - بمعناها ومبناها المختوم بألف المدِّ - نفيَ تغيير قولِ الله نفيًا قاطعًا، وهو يعُمُّ كلَّ قولٍ صدر عن الله تعالى.

فائدةُ البناءِ لِلمفعولِ:

لا يستطيعُ أحدٌ كائنًا مَن كان أن يغيِّرَ شيئًا ممّا كان

جيء بالمضارع المنفيِّ من فعل التَّبديل مبنيًّا للمفعول في قول الله تعالى: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ﴾؛ لأنَّ القصدَ هو نفيُ حصول التبديل، أيًّا كان فاعلُه أو القائمُ به، والمعنى: (ما يُغَيِّر قولي شيءٌ بوجهٍ من

(1) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 429.
(2) ابن عطية، المحرر الوجيز: 5/ 164.
(3) السامرائي، معاني النحو: 4/ 191.

الوجوه)[1]، فلن يكون يومَ الجزاء في دار الجزاء إلّا ما ذكره ﷻ في كتابه، وأوعَدَ به عبادَه.

معنى تعريفِ ﴿ٱلۡقَوۡلُ﴾:

القولُ عَلِمه النّاس في الدُّنيا، فتجاهلَه الكفَرَة، وعمِلَ به المؤمنون

(أل) في قول الله تعالى: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلۡقَوۡلُ لَدَيَّ﴾ لتعريف العهد، والمقصود به: (القولُ الواصل من الله تعالى إلى الناس بعامَّة والمشركين بخاصَّة، من خلال كتبه وعلى ألسنة رسله، بأنَّه لا يَغفِر أن يُشرَك به، ويَغفِر ما دون ذلك لمن يشاء)[2]، أو: (القولُ بأنَّ كلَّ نفسٍ تُجزى الجنَّةَ؛ إذا عملت خيرًا، وتُعاقَب بالنار؛ إذا عملت شرًّا)، ويجوز أن يكون المراد: (ما أثبته الملَكانِ من أفعال العباد، وما شهِدا به عليهم يوم الميعاد)، ممّا يستلزم نفيَ الكذب في هذا اليوم لعلم الله بجميع الأمور)[3]، ويحتمل أن تكون (أل) لتعريف الجنس، فيعمَّ المرادُ بالقَولِ كلَّ ما ذُكر وغيره، ولا مانعَ من ذلك.

فائدةُ التَّقييدِ بالظَّرفِ:

(لَدَى) في قول الله تعالى: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلۡقَوۡلُ لَدَيَّ﴾ ظرفٌ قُيِّد به فعلُ التبديل المنفيُّ؛ لتأكيد انتفائه، وتقوية استحالة حدوثه مِن الله تعالى، أو مِن أيِّ أحدٍ كائنًا مَنْ كان بين يدَي الله ﷻ؛ لعلم الله تعالى بحقائقِ الخلق، واطِّلاعه على أقوالهم وأفعالهم.

دلالةُ العطفِ بين الجُمَل:

تبديلُ القولِ ظلمٌ مُنزَّهٌ عنه ذو العدلِ المُطلَق

الواو في قول الله تعالى: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾؛ لعطف ما بعدها على قوله تعالى: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلۡقَوۡلُ لَدَيَّ﴾، أي: إنَّ كِلتا الجُملَتَينِ من كلام الله الفاصل بين الإنسان والشيطان، وعُبِّر بها لتقرير النهي عن الاختصام، وتأكيد عدم جدواه، ولتقوية عدم تبديل القول بين

(1) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 430.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 429، 430.
(3) ابن عطية، المحرر الوجيز: 5/ 165.

يديِّ اللّه؛ لأنَّ تبديلَ القولِ سيترتَّب عليه ظلمٌ، واللّه تعالى منزَّه عن الظلم، فالجملةُ واردةٌ لتحقيق الحقِّ على الوجه الكُلّيِّ، ولبيان أنَّ عدم تبديل القول وتحقيقَ موجب الوعيد ليس ظلمًا، بل بما صدر عنهم من الجنايات الموجِبَةِ له[1].

غرضُ النَّفي بـ(ما):

لن يلحقَ أيَّ عبدٍ من العبيدِ ظلمٌ مهما قلَّ أو دقَّ

(ما) في قول اللّه تعالى: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلۡعَبِيدِ﴾ هي النافية العاملة عملَ (ليس)، والتي تمتاز عن (ليس) بدخولها على الجملتين الفعليَّة والاسميَّة، بخلاف (ليس) التي تختَصُّ بالجملة الاسميَّة، والنفي بـ(ما) أنسب هنا؛ لأنَّها تدُلُّ - بمعناها ومبناها المختوم بألف المدِّ - على نفي الظلم عن اللّه تعالى نفيًا قاطعًا، يعمُّ كلَّ عبدٍ من النّاس، وجميعَ صوَرِ الظُّلم.

دلالة التعبيرِ بالجُملة الاسميَّة:

أوثِر التعبير في قول اللّه تعالى: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلۡعَبِيدِ﴾ بالجملة الاسميَّة لدلالتها على ثبوت انتفاء الظلم عن اللّه تعالى، ودوامِ ذلك في كلِّ الأوقات والأحوال، ومع جميع الخلق، فاللّه سبحانه لا يَظْلِمُ أحدًا مثقالَ ذَرَّة.

وجهُ التعبير بالضَّمير:

تعظيمُ الله تعالى وإكبارُه عن الظُّلم

عبَّر المولى سبحانه عن نفسه المقَدَّسة بضمير المتكلِّم المنفصل، فقال ﷻ: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلۡعَبِيدِ﴾؛ لكونه دليلًا على الذّات، ولأنَّ الضمير أعرفُ المعارف، ولدلالته في هذا السياق على عَظَمة اللّه تعالى وكِبريائه وترفُّعِه جلَّ شأنُه وعَظُمَ سلطانُه عن الظلم؛ تأكيدًا لعدم جدوى التَّخاصُم لديه، وتقريرًا لنفي تبديل القول بين يديه.

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 132.

معنى الباء ودلالتُها:

الباءُ الجارَّة ومجرورُها في قول الله تعالى: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلۡعَبِيدِ﴾ في محلِّ نصب خبر (ما)؛ أوثِر البيانُ فيه بحرف الباء – مع إمكان التعبير بدونه – لتأكيد نفي الظلم عن الله تعالى، وتقويةِ عدم حصوله منه جلَّ شأنُه.

نكتة صيغةِ المبالغة:

جاء التَّعبير بصيغة (فعّال) في قول الله تعالى: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلۡعَبِيدِ﴾؛ للإبلاغ في نفي الظلم بكلِّ أنواعه، وليس لنفي المبالغة فيه، وثمَّ دلالةٌ تتوافق مع السياق، وهي أنَّ تبديل القول يُعَدُّ ظلمًا مُفْرِطًا بالغًا، ومِنْ ثمَّ نفاه الله تعالى عن نفسه[1]، كما نفى عنها أقلَّ الظلم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ﴾ [النساء: 40].

الإبلاغُ في نفي الظُّلم، لا نفيُ المبالغة فيه

معنى اللام ودلالتُها:

اللّامُ الجارَّةُ ومجرورها في قول الله تعالى: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلۡعَبِيدِ﴾ متعلِّقٌ بِـ (ظَلّامٍ)، واللامُ فيه حرفُ جرٍّ يفيد اختصاصَ العبيدِ بعدم الظلم، وليس معنى ذلك جواز إيقاع الظلم على غيرهم، بل السبب في تخصيصهم ما قد يُظَنُّ بأنَّهم عُرضَةٌ له أكثرَ من غيرهم[2].

وَجهُ التَّعبير بالعَبيد:

آثر النَّظم الكريم استعمالَ مفردة (العَبيدِ) دون (النّاس)، في قول الله تعالى: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلۡعَبِيدِ﴾؛ لأنَّ لفظ (العَبيد) إذا أُضيف إلى الله؛ كان أعمَّ من العِبادِ، فالله تعالى نَبَّه من خلال التعبير بالعبيد إلى أنَّه لا يَظلِم مَن اختصَّ بِعِبادَته، ولا يَظلِم كذلك

الله تعالى لا يَظلِمُ مَن عَبَدَ غيرَه، كما لا يَظلِمُ مَن أخلَصَ في عبادتِه

(1) الزمخشري، الكشاف: 4/ 388.

(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 142.

مَن انتسب إلى غيره من الذين تسمَّوا بِعَبْدِ الشمس وعَبْدِ اللّات[1] ونحوِ ذلك، كما أنَّ البيان به فيه زيادةُ تقريرِ معنى الظلم في نفوس الخَلق؛ إذِ المعنى: (لا أظلمُ ولو كان المظلوم عبدي)، فإذا كان الله الذي خلق العبادَ قد جعل مؤاخذة مَنْ لم يسبق له تشريعٌ ظلمًا، فكيف بمؤاخذة الناس بعضِهم بعضًا بالتَّبِعات دون تَقَدُّمٍ إليهم بالنَّهي من قبل؟ ولذلك يُقال: لا عقوبةَ إلّا على عمل فيه قانونٌ سابِقٌ قبلَ فعله[2].

(1) الراغب، مفردات القرآن: (عبد).

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 317.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع والخمسون،
سورة الحُجُرَات من الآية 15 إلى سورة الطُّور الآية 24
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع والخمسون، سورة الحُجُرَات من الآية 15 إلى سورة الطُّور الآية 24
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 57 ، 802 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-650-27-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 57 : المجلد السابع والخمسون، سورة الحُجُرَات من الآية 15 إلى سورة الطُّور الآية 24.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-650-27-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4331956 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"